شرح
الأصول الستة

لفضيلة الشيخ

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

الطَّبعَةُ الأُولَى

١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م

١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م
رقم الإيداع: ١٠٩٨٠/٢٠٠٨م

دار عمر بن الخطاب
للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية - القاهرة

الوكيل في اليمن

مكتبة الإمام الوادعي
للنشر والتوزيع
اليمن - صنعاء - شارع تعز - شميلة - جوار جامع الخير
ص ب: ١٧٣٦٤ فاكس: ٦٣٣٧٧١ - ١ - (٠٠٩٦٧)
جوال: ٧٣٤٧٥٥١٣٩ - ٧٧٧٧٦٣٧٤٣ (٠٠٩٦٧)
E_MAIL: ALWADEY2006@MAKTOOB.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مِنْ أَعْجَبِ الْعُجَابِ، وَأَكْبَرِ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ قُدْرَةِ الْمَلِكِ الْغَلَّابِ سِتَّةُ أُصُولٍ بَيَّنَهَا اللهُ تَعَالَىٰ بَيَانًا وَاضِحًا لِلْعَوَامِّ فَوْقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا غَلِطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ أَذْكِيَاءِ الْعَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ الْقَلِيلِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمد لله رب العالَمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا مُحَمّد وعلىٰ آله وصحبه أجْمَعين.

لا شك أن الله سبحانه أنزل القرآن تبيانًا لكل شيءٍ، وأن الرسول ﷺ بيَّن هذا القرآن بيانًا شافيًا، وأعظمُ ما بينه الله ورسوله في هذا القرآن قضية التوحيد والشرك؛ لأن التوحيد هو أصل الإسلام وأصل الدين، وهو الذي تبنىٰ عليه جميع الأعمال، والشركُ يبطل هذا الأصل ويفسده، ولا يكون له وجود؛ لأنهما أمران متضادان ومتناقضان لا يجتمعان أبدًا، فلذلك الله سبحانه بين هذا الأصل في كتابه في جميع القرآن، فلا تكاد

تخلو سورةٌ من ذكر التوحيد وذكر الشرك، والناس يقرؤون هذا القرآن ويرددونه.

ولكن قلَّ من يتنبه لهذا البيان، ولذلك تَجد كثيرًا من الناس يقرءون القرآن ويقعون في الشرك ويُخِلُّون بالتوحيد، مع أن هذا الأمر واضحٌ في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ؛ لأنهم يَمشون علىٰ العوائد وما وجدوا عليه آباءهم ومشايخهم، فالأصل عندهم ما وجدوا عليه آباءهم ومشايخهم وأهل بلدهم، ولا يفكرون في يوم من الأيام أن يتأملوا ويتدبروا القرآن، ويعرضوا عليه ما كان عليه الناس، هل هو صحيح أو غير صحيح؟

بل أخذهم التقليد الأعمىٰ لآبائهم وأجدادهم، واعتبروا أن القرآن إنما يقرأ للبركة وحصول الأجر بالتلاوة، وليس المقصود أنه يُقرأ للتدبر والعمل بما فيه.

قلَّ من الناس من يقرأ القرآن لهذا الغرض، وإنما يقرءون للتبرك به أو التلذذ بصوت القارئ، والترنم به، أو لقراءته علىٰ المرضىٰ للعلاج.

أما أن يقرأ للعمل به والتدبر والصدور عما فيه، وعرض ما عليه الناس علىٰ هذا القرآن، فهذا لا يوجد إلا في قليلٍ من الناس، لا نقول: إنه معدوم، لكنه في أقل القليل، ولذلك تجد القرآن فِي وادٍ وأعمال بعض

الناس في وادٍ آخر، لا يفكرون في التغيير أبدًا، ولو حاول مجددٌ أو داعٍ إلىٰ الله أن يغير ما هم عليه، لقاموا في وجهه واتهموه بالضلال، واتهموه بالخروج علىٰ الدين وأنه أتىٰ بدينٍ جديدٍ وأنه وأنه...

كما حصل لهذا الشيخ نفسه لَـمَّا حاول رَحِمَهُ اللَّهُ أن يرد الناس إلىٰ القرآن وما دل عليه القرآن، ويغيِّر ما هم عليه من العادات والتقاليد الباطلة، ثاروا في وجهه وبدَّعوه وفسقوه، بل وكفَّروه واتَّهموه باتهاماتٍ، لكن في الْحَقيقة هذا لا يضر وليس بغريبٍ، فإن الأنبياء قيل فيهم ما هو أشد من ذلك، لَـمَّا أرادوا أن يغيروا ما عليه الأمم من عبادة غير الله قيل فِي حق الأنبياء ما قيل، فكيف بالدعاة والعلماء؟! فلا غرابة فِي هذا، وهذا لا ينقص من أجر العالِم والداعية، بل هذا يزيد في حسناته عند الله سبحانه وتعالىٰ.

وإنما يرجع بالنقص علىٰ من قاله ومن تفوَّه به وكتبه، فإن هذا يرجع عليه، أما العلماء الْمُخلصون والدعاة إِلَىٰ الله، فلا يضرهم ما قيل فيهم بل يزيد في درجاتهم وحسناتهم، ولَهم قدوةٌ بالأنبياء وما قيل فِي حقهم وما اتُّهموا به، والله تعالىٰ يقول لنبيه: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٣].

فالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الكلمات يبين شيئًا من هذا الأمر العجيب: أن الناس يقرءون القرآن، ويكثرون من قراءته ويختمونه ويحفظونه

ويرتِّلونه، ويركزون اهتمامهم بألفاظ القرآن وتجويده وأحكام المد، وأحكام الإدغام، والغنة، والإقلاب، والإظهار، والإخفاء، ويعتنون بهذا عنايةً فائقةً، وهذا شيءٌ طيبٌ.

ولكن الأهم والمقصود ليس هذا، المقصود تدبر المَعاني، والتفقه في كتاب الله ﷻ، وعرض أعمالنا وأعمال الناس علىٰ كتاب الله: هل هي موافقةٌ لكتاب الله أو مُخالفةٌ؟

هذا هو المطلوب: أن نصحح أوضاعنا، وأن ننبه علىٰ أخطاء الناس، لا بقصد التشهير وقصد النيل من الناس، بل بقصد الإصلاح والنصيحة.

* * *

الأَصْلُ الأَوَّلُ

إِخْلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

الشرح: الأصل الأول من هذه الأصول الستة: (إخلاص الدين لله وحده لا شريك له) هذا أصل الأصول وقاعدة الدين، وهذا هو المعترك بين الأنبياء وبين الأمم، فالأنبياء يريدون أن يصححوا هذا الأصل الذي خلق الله الْخَلق من أجله وربط سعادتهم به.

فليس الُمهم أن الإنسان يصوم ويصلي ويكثر من العبادات، المهم الإخلاص، فقليلٌ مع الإخلاص خيرٌ من كثيرٍ مع عدم الإخلاص، فلو أن الإنسان يصلي الليل والنهار، ويتصدق بالأموال، ويعمل الأعمال لكن بدون إخلاص فلا فائدة فِي عمله؛ لأنه لابد من الإخلاص.

والإخلاص معناه: ترك الشرك وإفراد الله - جل وعلا - بالعبادة، ولا أحد يستحق العبادة مهما بلغ من الكمال ومن الفضل إلَّا الله، لا الملائكة المقربون ولا الأنبياء والرسل، ولا الأولياء والصالحون، هذا هو الأصل، ولا يتحقق هذا الأصل إلا بترك الشرك، أما من يَخلط بين العبادة لله وبين الشرك بغيره، فهذا عمله حابطٌ.

وأما الذي يُخلص عمله لله عَزَّوَجَلَّ فهذا هو السعيد، ولو كان عمله

قليلًا، فقليلٌ من العمل مع الإخلاص فيه الخير، وفيه النجاة؛ وحديث البطاقة لا يَخفىٰ: «رجل يبعث يوم القيامة تعرض عليه أعماله مكتوبة في سجلاتٍ، كل سجلٍّ منها مدَّ البصر، مَملوءة بالسيئات، توضع هذه السجلات فِي كفَّةٍ، وتوضع هذه البطاقة الَّتي فيها «لا إله إلا الله» قالها هذا الرجل من قلبه بإخلاص ويقينٍ وإيْمَان؛ فرجحت هذه الكلمة بجميع السجلات، وطاشت بِجميع السجلات».

هذا هو الإخلاص فهو ما قالها مجرد لفظٍ، وإنَّما قالها عارفًا بمعناها، معتقدًا بما دلت عليه، لكنه مات قبل أن يتمكن من العمل، فكيف بالذي عنده أعمالٌ كثيرةٌ صالحةٌ وخالصةٌ لوجه الله ﷻ؟!

هذا فيه دلالة علىٰ أن الإخلاص وإن كان قليلًا فقد ينجي الله به صاحبه، ويكفِّر عنه جميع الذنوب والسيئات، وأنه إذا فقد الإخلاص فلا فائدة من كثرة الأعمال.

* * *

وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّركُ بِاللهِ.

ضد التوحيد: الشرك بالله ﷻ، فالتوحيد: هو إفراد الله بالعبادة، والشرك: هو صرف شيءٍ من أنواع العبادة لغير الله ﷻ، كالذبح والنذر والدعاء والاستغاثة.... إلىٰ آخر أنواع العبادات، هذا هو الشرك، والشرك المَقصود هنا: هو الشرك فِي الألوهية، أما الشرك فِي الربوبية، فهذا غير موجودٍ فِي الغالب.

فالأمم كلها مقرةٌ بتوحيد الربوبية اضطرارًا، لَمْ يَجحده إلا من تظاهر بالإنكار، مع أنه يعترف به فِي الباطن؛ لأن الإقرار به ضروريٌّ، فالجَميع يعرف أن هذا الْخَلق وهذا الكون لابدَّ له من خالقٍ، وهذا الخلق الذي يسير لابدَّ له من مدبِّرٍ، ليس موجودًا بمجرد الصدفة أو موجودًا من نفسه ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٦].

فالإقرار بتوحيد الربوبية ضروريٌّ وفطريٌّ لكنه لا يكفي، لَمْ يكفِ المشركين إقرارُهم به كما فِي القرآن، فالقرآن صريحٌ فِي هذا ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٧] ماذا يُجيبون؟ يُجيبون: (الله)، أي: الله هو الذي خلقنا، هذا توحيد الربوبية، فالمطلوب هو توحيد الألوهية، هذا الذي

حصل فيه النزاع والخِلاف والخِصام بين الرسل والأمم، وبين الدعاة إِلَىٰ الله وبين الناس، هذا هو الذي فيه الخُصومة، فيه القتال، وفيه ما يتعلق بذلك من الولاء والبراء وغير ذلك.

* * *

وَكَوْنُ أَكْثَرِ الْقُرْآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الْأَصْلِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّىٰ بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ الْعَامَّةِ.

الله - جل وعلا - يقول: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦] هل هذا كلامٌ غامضٌ؟ العوام يفهمونه ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ يفهمون من هذه الأمر بالعبادة والنهي عن الشرك، ولو أَنَّهم لَمْ يتعلموا، يعرفون هذا من لغاتهم، هذه آيةٌ واحدةٌ، والقرآن مملوءٌ من مثل هذا.

هذه الآيات يَمرون عليها ويقرءونها، لكن لا يفكرون فيها، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦].

وهم يقولون: يا علي، يا حسين، يا بدوي، يا تيجاني، يا عبد القادر، يصرخون ويصيحون وينادون بأعلىٰ أصواتهم: يا فلان يا فلان، وفلان هذا ميت!!!

وهذا الذي ينادي الميت ويصرخ ربَّما أنه يَحفظ القرآن بالقراءات السبع أو العشر، ويَجوِّده تَجويدًا منقطع النظير، «**يُقيمه إقامة السهم**» - كما قال النَّبِي ﷺ - لكنه يعتنِي بحروفه ويضُيع حدوده.

يقول الإمام ابن القيم: القرآن كله فِي التوحيد، لأنه إما أمرٌ بعبادة الله وترك الشرك، وإما بيانٌ لِجزاء أهل التوحيد، وجزاء أهل الشرك، وإما فِي

أحكام الحلال والحرام، وهذه من حقوق التوحيد، وإما قصصٌ عن الرسل وأممهم وما حصل بينهم من الخُصومات، وهذا جزاء التوحيد والشرك.

فالقرآن كله توحيدٌ، من أوله إلَىٰ آخره، ومع هذا يقرءون هذا القرآن وهم مقيمون علىٰ الشرك الأكبر، ويقولون: لا إله إلا الله. ولا يعملون بِهَا، هم في وادٍ والقرآن ولا إله إلا الله في وادٍ آخر، إنَّما هي ألفاظ علىٰ اللسان فقط.

لو تسأل واحدًا منهم: ما معنىٰ لا إله إلا الله؟ لقال لك: لا أدري، أنا لَمْ أتعلم.

فنقول له: إذن أنت تقول: لا إله إلا الله ولا تعلم ما معناها، هل هذا يليق بالمسلم؟!

تقول كلامًا لا تعرف معناه ولا تهتم به، أو تقول: سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، مثلما يقول المُنافق فِي القبر إذا سئل: يقول: «**سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**» مجرد محاكاة.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ١٧١] شبَّههم الله بالبهائم الَّتي تسمع صوت الراعي وتسمع الْحُداء، وتمشي علىٰ صوت الراعي وهي لا تفهم معناه.

ثُمَّ لَـمَّا صَارَ عَلَىٰ أَكْثَرِ الْأُمَّةِ مَا صَارَ، أَظْهَرَ لَـهُمُ الشَّيْطَانُ الْإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِـحِينَ، وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ(*)، وَأَظْهَرَ لَـهُمُ الشِّرْكَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِـحِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ(**).

(*) **إذا قيل لَهم**: لا تَدْعوا المَخلوقين، ولا تستغيثوا بِهم، ادعوا الله واستغيثوا بالله، واسألوا الله، وتوجهوا إِلَىٰ الله، لا تتوجهوا إِلَىٰ القبور والأموات.

يقولون: أنت تتنقص الأولياء، هؤلاء الأولياء قدرهم عندنا أن نجلهم ونَحترمهم ونهتف بأسمائهم، هذا قدرهم، فأنت تتنقصهم ولا تعترف بفضلهم، هكذا يقولون لدعاة التوحيد.

فنقول لَهم: نحن نُحب الصالِحين، ونُحب أولياء الله، ونواليهم ونُجلُّهم ونحترمهم، ولكن لا نعطيهم شيئًا من حق الرب سبحانه وتعالىٰ، ولا نعطيهم شيئًا من العبادة؛ لأنها ليست حقًّا لَهم، وهم لا يرضون بِهذا، ولا يرضون بأنهم يُدعَون مع الله ويُستغاث بِهم فِي الشدائد.

(**) **هم يقولون**: إن استغاثتهم بالصالحين واستنجادهم بهم اعترافٌ بفضلهم وإجلالٌ لَهم، وهذا ما زيَّن لَهم الشيطان، والمراد بالشيطان: شيطان الجن وشيطان الإنس، علماء الضلال شياطين الإنس

يتكلمون ويكتبون ويؤلفون فِي الدعوة إِلَىٰ الشرك، ويزعمون أن هذا من تعظيم الصالحين، ومن الاعتراف بفضلهم، ومن موالاتهم، وأن عدم دعائهم وعدم الاستغاثة بِهم من الجفاء فِي حقهم، ومن بغضهم، إِلَىٰ آخر ما يقولون، هذا موجودٌ فِي كتبهم.

* * *

الأَصْلُ الثَّانِي

أَمَرَ اللهُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ، وَنَهَىٰ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ، فَبَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا تَفْهَمُهُ الْعَوَامُّ.

هذا الأصل موجودٌ في القرآن، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

فلا يجوز للمسلمين أن يتفرقوا في دينهم، بل يَجب أن يكونوا أمةً واحدةً علىٰ التوحيد ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾.

[الأنبياء: ٩٢]

لا يجوز لأمة مُحَمَّد أن تتفرق في عقيدتها، وفي عبادتها، وفي أحكام دينها، هذا يقول: حلالٌ. وهذا يقول: حرامٌ. بغير دليل، لا يجوز هذا.

لا شك أن الاختلاف من طبيعة البشر، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨- ١١٩].

لكن الاختلاف يحسم بالرجوع إلَىٰ الكتاب والسنة، فإذا اختلفت أنا

وأنت فإنه يَجب علينا أن نرجع إلَىٰ كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩].

أما ما يقال: كلٌّ يبقىٰ علىٰ مذهبه، وكلٌّ يبقىٰ علىٰ عقيدته، والناس أحرارٌ فِي آرائهم، ويطالبون بِحرية العقيدة، وحرية الكلمة، هذا هو الباطل الذي نهىٰ الله عنه، فقال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فيجب أن نَجتمع فِي عرض اختلافنا علىٰ كتاب الله حَتَّىٰ فِي مسائل الفقه، إذا اختلفنا فِي شيء نعرضه علىٰ الأدلة، فمن شهد له الدليل صرنا معه، ومن أخطأ الدليل، فإننا لا نأخذ بالْخطأ.

إن الله - جل وعلا - لَمْ يتركنا نَختلف ونتفرق بدون أن يضع لنا ميزانًا يبين الصحيح من الخطأ، بل وضع لنا القرآن والسُّنة ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآن، ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ يعني: السنة. والرسول ﷺ يقول: «**إني تارك فيكم ما إنْ تمسَّكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنَّتي**».

فكأن الرسول ﷺ موجودٌ بيننا بوجود السُّنة مدونةً ومصححةً وموضحةً، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ هذه الأمة، أنه لَمْ يتركها فِي متاهةٍ، بل تركها وعندها ما يدلُّها علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ويدلُّها علىٰ الصواب، أما الذي لا يريد الْحَق، ويريد أن كل واحدٍ يبقىٰ علىٰ مذهبه وعلىٰ نِحلَته، ويقول: نَجتمع فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا

فيما اختلفنا فيه. هذا لا شك أنه كلام باطل.

فالواجب أن نَجتمع علىٰ كتاب الله وسُنة رسوله، وما اختلفنا فيه نردُّه إلىٰ كتاب الله وسُنة رسوله، لا يعذر بعضنا بعضًا ونبقىٰ علىٰ الاختلاف؛ بل نردُّه إلىٰ كتاب الله وسُنة رسوله، وما وافق الْحَقَّ أخذنا به، وما وافق الخطأ نرجع عنه. هذا هو الواجب علينا، فلا تبقىٰ الأمة مختلفةً، وربَّما يذكر الذين يدعون إلىٰ البقاء علىٰ الاختلاف حديث: «**اختلاف أمتي رحمةٌ**» وهذا الحَديث يروىٰ ولكنه ليس صحيحًا.

الاختلاف ليس رحمةً، الاختلاف عذابٌ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، فالاختلاف يشتت القلوب ويفرق الأمة، ولا يمكن للناس إذا صاروا مختلفين أن يتناصروا ويتعاونوا أبدًا، بل يكون بينهم عداوة وعصبيةٌ لفرَقهم وأحزابهم، ولا يتعاونون أبدًا.

إنَّما يتعاونون إذا اجتمعوا واعتصموا بحبلِ الله جميعًا، وهذا هو الذي أوصىٰ به النَّبي ﷺ، فقال: «**إن الله يرضىٰ لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بِحبل الله جميعًا ولا تفرَّقوا، وأن تناصحوا مَنْ ولَّاه الله أمركم**».

هذه الثلاث يرضاها الله لنا.

والشاهد منها قوله: «وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا».

وليس معنىٰ هذا أنه لا يوجد اختلاف ولا يوجد تفرق.

طبيعة البشر وجود الاختلاف، ولكن معنىٰ هذا: أنه إذا حصل اختلافٌ أو تفرقٌ يُحسم بالرجوع إلىٰ كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ وينتهي النزاع وينتهي الاختلاف، هذا هو الحق.

وليس تَحكيم القرآن أو تَحكيم السُّنَّة مقتصرًا علىٰ مسألة النزاع فِي الخصومات بين الناس فِي الأموال، حيث يسمون الْحُكم بِما أنزل الله، أنه الْحكم بين الناس فِي أموالهم ونزاعاتهم فِي أمور الدنيا فقط.

لا؛ بل هو الحكم بينهم فِي كل اختلافٍ وكل نزاعٍ، والنزاع فِي العقيدة أشد من النزاع في الأموال، والنزاع فِي أمور العبادات وأمور الحلال والحرام أشد من النزاع فِي الْخُصومات فِي الأموال، إنَّما الْخُصومات فِي الأموال جزءٌ أو جزئيةٌ من الاختلاف الذي يَجب حسمه بكتاب الله ﷻ، والصحابة ﷺ كان يحصل بينهم اختلاف لكن سرعان ما يرجعون إلَىٰ كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ فينتهي اختلافهم.

فقد حصل بينهم اختلاف بعد وفاة النَّبِي ﷺ حول من الذي يتولَّىٰ الأمر من بعده؟ وسرعان ما حسموا النزاع ورجعوا وولَّوا أبا بكرٍ الصديق، وانقادوا له وأطاعوا له، وزال الاختلاف، وانحسمت